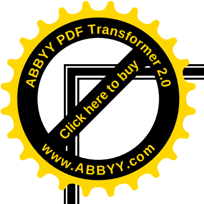
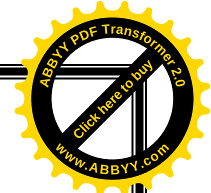




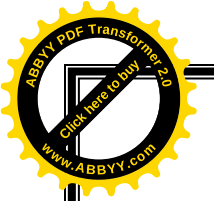
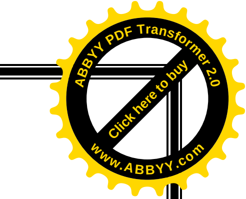
ثلاث رسائل في عيد الأضحى

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

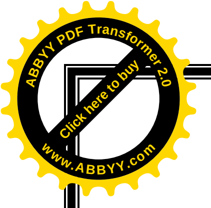
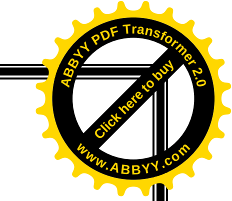



إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بــالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد . . ؛

فهذه ثلاث رسائل أهديها إلى نفسي المذنبة الــضعيفة المقــصرة ، وإلى كل من أحببتهم وأحبوني في الله تعالى ، وهذه الرسائل تــأتي والعيد الأضحى يطرق أبواب المؤمنين ، ويذكرنا برحلة العابدين إلى رب العالمين ، رحلة التشويق إلى البيت العتيق ، الذي قال فيه ربنا تباركت أسماؤه " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُــشْرِكْ بِــي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيــقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَــى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الــزُّورِ (٣٠) **سورة الحج .**

وقال تعالى : " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُــدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَــانَ آمِنًــا

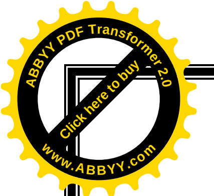
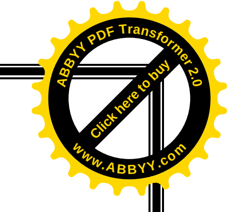
وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) **سورة آل عمران** .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛(أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليــه وســلم سُــئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَــالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْــرُورٌ.)". **أخرجه ((أحمــد)) ٢/٢٦٤(٧٥٨٠) و((البُخــاري)) ١/١٣(٢٦) ، و((مــسلم)) ١/٦٢(١٦١)** .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وســلم:مَــنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ حَتَّى يَرْجِعَ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. **أخرجه "أحمد" ٢/٢٢٩(٧١٣٦) و"الدارِمِي" ١٧٩٦ و"البُخاري" ١٥٢١** .

وعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صــلى الله عليــه وســلم:الْحَــجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : يَا نَبِــيَّ اللهِ ، مَــا الْحَــجُّ الْمَبْرُورُ ؟ قَالَ : إِطْعَــامُ الطَّعَــامِ ، وَإِفْــشَاءُ الــسَّلاَمِ.**أخرجه أحمد ٣/٣٢٥(١٤٥٣٦)**.

كل هذه النصوص وغيرها تبين قيمة الحج وفضله وثمرته ، فلينظر المؤمن ولسوف يجد أن صحائف السيئات، صارت حسنات، كرماً من الله وجوداً وإحساناً وتلطفاً منه جل جلاله وبراً وغفراناً، فما أحرانا أن نتعرض لهذا الكرم العظيم ونرد البيت الحرام حيناً بعد حين عسى أن نكتب في السعداء الفائزين.

ولكن لا بد من الإخلاص ، قال بعض السلف لمن ودعه وهو ذاهب إلى الحج : اتق الله، فمن اتقى الله فلا وحشة عليه.

وقال آخر لمن ودعه للحج: أوصيك بما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً حين ودعه: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن).

وهذه وصية جامعة لخصال البرّ كلها، ولأبي الدرداء رضي الله عنه:

يريد المرء أن يؤتى مناه * * * ويأبى الله إلا ما أرادا

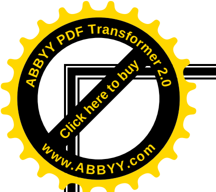
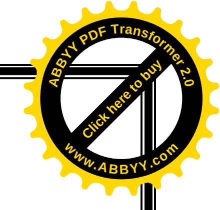
يقول المرء فائدتي ومالي * * * وتقوى الله أفضل ما استفادا

ومن أعظم ما يجب على الحاج اتقاؤه الحرام، وأن يطيب نفقته في الحج وألا يجعلها من كسب حرام.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا خرج الحاجُّ حاجًّا بنفقةٍ طيبةٍ ووضع رجلَه في الغَرْزِ فنادى لبيك ناداه منادٍ من السماءِ لبيك وسعديك زادُك حلالٌ وراحلتُك حلالٌ وحجُّك مبرورٌ غيرُ مأزورٍ وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجلَه في الغرز فنادى لبيك ناداه مَلَكٌ من السماءِ لا لبيك ولا سعديك زادُك حرامٌ ونفقتُك حرام وحجُّك غيرُ مبرورٍ **(الطبراني في الأوسط**

أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥١/٥ ، رقم ٥٣٢٨) قال الهيثمى (٢٩٣/١٠) : فيه سليمان بن داود اليمامى ، وهو ضعيف . وأخرجه أيضًا : البزار كما في كشف الأستار (٦/٢ ، رقم ١٠٧٩) .

مات رجل في طريق مكة فحفروا له فدفنوه ونسوا الفأس في لحده فكشفوا عنه التراب ليأخذوا الفأس، فإذا رأسه وعنقه قد جمعا في

حلقة الفأس، فردوا التراب عليه ورجعوا إلى أهله فـسألوهم عنـه فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان منه يحج ويغزو:

إذا حججت بـمال أصله سحت * * * فما حججت ولكن حجّت العيرُ

لا يقبـل الله إلا كل طيبـة * * * ما كل مَنْ حجّ بيت الله مبرورُ

قال ابن عمر رضي الله عنه لرجل رآه قد استظل في إحرامه: اضح لمن أحرمت له، أي ابرز للضحى، وهو حر الشمس:

أتاك الوافدون إليك شعثاً * * * يسوقون المقلدة الصوافِ

فكم من قاصد للرّب رغباً * * * ورهباً بين منتعلٍ وحافِ

ورأى بعض الصالحين الحاج في وقت خروجهم، فوقف يبكي ويقول: وا ضعفاه، وينشد على أثر ذلك:

فقلت دعوني وأتباعي ركابكم * * *أكن طوع أيديكم كما يفعل العبدُ

ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟ يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد الـسائرين إلـى ديـار الأحبة وهو قاعد أن يحزن.

ألا قل لزوار دار الحبيب * * * هنيئاً لكم في الجنان الخلود

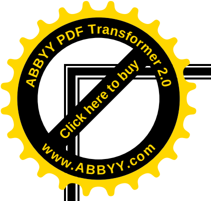
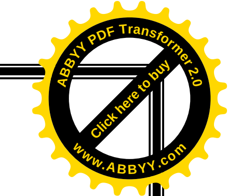
أفيضوا علينا من الماء فيضاً * * * فنحن عطاش وأنتم ورود

لئن سار القوم وقعدنا وقربوا وبعدنا فما يؤمننا أن نكون ممن كـره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين:

لله درّ ركائب سارت بهم * * * تطوي القفار الشاسعات على الدُّجا

رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا * * * قلب المتيّم منهمو ما قد شجا

نزلوا بباب لا يخيب نزيله * * * وقلوبهم بين المخافة والرّجا

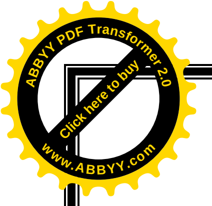
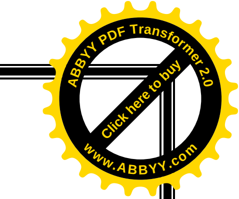
عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ. **أخرجه أحمد ٣/١٦٠وأبو داود ٢٥٠٨ .**

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ * * * رُحْتُمْ جُسُومًا وَرُحْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا
إِنَّا أَقَمْنَا لِعُذْرٍ قَدْ أَلَمَّ بِنَا * * * وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ فَقَدْ رَاحَا

فالغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة فما منها عوض و لا لها قيمة المبادرة المبادرة بالعمل و العجل العجل قبل هجوم الأجل قبل أن يندم المفرط على ما فعل قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحا فلا يجاب إلى ما سأل قبل أن يحول الموت بين المؤمل و بلوغ الأمل قبل أن يصير المرء مرتهنا في حفرته بما قدم من عمل .

إِلى عَرَفاتِ اللَهِ يا خَيرَ زائِرٍ * * * عَلَيكَ سَلامُ اللَهِ في عَرَفاتِ
وَيَومَ تُوَلّى وُجهَةَ البَيتِ ناضِراً * * * وَسيمَ مَجالي البِشرِ وَالقَسَماتِ
عَلى كُلِّ أُفقٍ بِالحِجازِ مَلائِكٌ * * * تَزُفُّ تَحايا اللَهِ وَالبَرَكاتِ
لَكَ الدينُ يا رَبَّ الحَجيجِ جَمَعتَهُم * * * لِبَيتٍ طَهورِ الساحِ وَالعَرَصاتِ
أَرى الناسَ أَصنافاً وَمِن كُلِّ بُقعَةٍ * * * إِلَيكَ اِنتَهَوا مِن غُربَةٍ وَشَتاتِ
تَساوَوا فَلا الأَنسابُ فيها تَفاوُتٌ * * * لَدَيكَ وَلا الأَقدارُ مُختَلِفاتِ
وَيا رَبِّ هَل تُغني عَنِ العَبدِ حَجَّةٌ * * * وَفي العُمرِ ما فيهِ مِنَ الهَفَواتِ
وَأَنتَ وَلِيُّ العَفوِ فَامحُ بِناصِعٍ * * * مِنَ الصَفحِ ما سَوَّدتُ مِن صَفَحاتي
فَقُل رَبِّ وَفِّق لِلعَظائِمِ أُمَّتي * * * وَزَيِّن لَها الأَفعالَ وَالعَزَماتِ

فعلى المسلم أن يدرك أن الحج سبب لدخول الجنة، كما قال الرسول –صلى الله عليه وسلم-:" الحج المبرور ليس له جزاء إلا

الجنـــــة".**أخرجه مالـك "الموطـأ" ٢٢٨ و"أحمد" ٣٤٦/٢ (٧٣٤٨) و"البُخاري" ١٧٧٣ و"مسلم" ٣٣٦٨ .**

كما أن الحج فيه رابطة أخوية من أقوى الروابط في الإسلام؛ لكونه يحقق التآلف والمحبة بين المسلمين .

والحج يحقق سمة من سمات الإسلام وخصائصه ألا وهـي العـدل والمساواة.

وفيه تعظيم لشعائر الله التي هي علامة على تقوى القلوب .

وفي الحج تقرب إلى الله بأنواع العبادات .

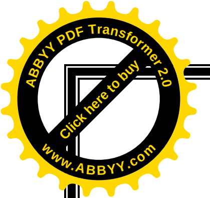
والحج رحلة قلوب وأفئدة قبل أن يكون رحلـة أجسـاد وجسـوم ، استجابة لدعاء الخليل إبراهيم عليه السلام : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) **سورة إبراهيم.**

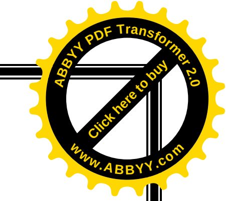
وهناك يتذكر المسلم هاجر وابنها اللذين ضربا مثلا من أروع الأمثلة في حسن الثقة والتوكل على الله تعالى ، وفي الرضا والتسليم بما قضى الله وقدر .

كما أن المسلم يتذكر إخوة الإسلام الجامعة وأن أمتنا أمة واحدة ، وانه لا عز لنا ولا شرف إلا بأخوة الإيمان والدين .

من هنا كانت هذه الصفحات التي أذكر بها نفسي وكل من أحب في عيد الأضحى المبارك ، وهي تحتوي على ثلاث رسائل هي :

(١) الرسالة الأولى: إن الله تعالى لن يضيعنا.





(٢) الرسالة الثانية:وجوب التسليم لأمر الله سبحانه .

(٣) الرسالة الثالثة:وأن هذه أمتكم أمة واحدة.

وما زال وفد الله يقصد مكة * * * إلى أن يرى البيت العتيق وركناه

يطوف به الجاني فيغفر ذنبه * * * ويسقط عنه جرمه وخطاياه

فمولى الموالي للزيارة قد دعا * * * أنقعد عنها والمزور هو الله

نحج لبيت حجه الرسل قبلنا * * * لنشهد نفعا في الكتاب وعدناه

فيامن أساءيا من عصى لورأيتنا * * * وأوزارنا ترمى ويرحمنا الله

وودعت الحجاج بيت إلهها * * * وكلهم تجري من الحزن عيناه

ووالله لولا أن نؤمل عودة * * * إليه لذقنا الموت حين فجعناه

اللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقاً واسعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وإيماناً خالصاً وهب لنا إنابة المخلصين وخشوع المخبتين وأعمال الصالحين وأصلح ذات بيننا واجمع قلوبنا على الخير يا أفضل من رجي وقصد وأكرم من سئل، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

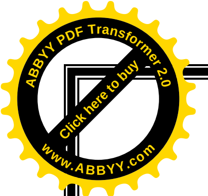
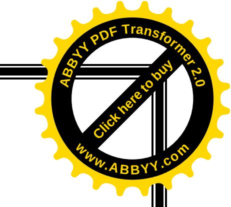
hamesabadr@yahoo.com

المواسير – إيتاي البارود – البحيرة

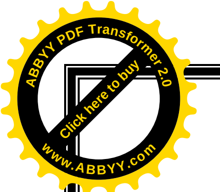
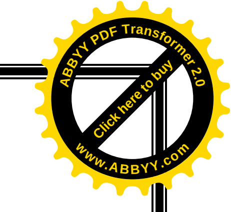
في ٢٧ من رمضان ١٤٣٠ هـ = ١٧ /٩/ ٢٠٠٩ م

(١) الرسالة الأولى

إن الله تعالى لن يضيعنا

عن ابن عباس ، قال : جاء نبيّ الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر ، فوضعهما بمكة في موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم إنما أسألك ثلاث مرات: من أمرك أن تضعني بأرض ليس فيها ضَرْع ولا زرع ، ولا أنيس ، ولا زاد ولا ماء؟ قال: ربي أمرني ، قالت: فإنه لن يضيِّعنا قال: فلما قفا إبراهيم قال(رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ) يعني من الحزن(وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَفِي السَّمَاءِ) . فلما ظمئ إسماعيل جعل يَدْحَض الأرض بعقبه ، فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادي يومئذ لاخ ، يعني عميق ، فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ، فانحدرت فبلغت الوادي ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأتت المروة ، فصعدت فاستشرفت هل ترى شيئا ، فلم تر شيئا. ففعلت ذلك سبع مرّات ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يَدْحَض الأرض بعقبه ،وقد نبعت العين وهي زمزم. فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها ، وأفرغته في سقائها. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُها الله لَوْ تَرَكَتْها لَكانَتْ عَيْنا سائِحَةً تَجْرِي إلى يَوْمِ القِيامَةِ". قال: وكانت جُرهُمُ يومئذ بواد قريب من مكة ، قال: ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء ، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي ، قالوا: ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجرَ ، فقالوا: إن شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك ، قالت: نعم. فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل ، وماتت

هاجر فتزوّج إسماعيل امرأة منهم. تفسير الطبري ٢٠/١٧ ،فتح الباري ٦٠١/٤.

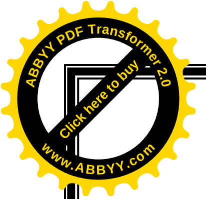
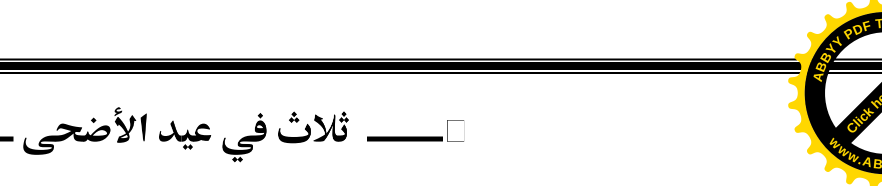
امرأة وطفل رضيع في مكان ليس به أنيس ولا حسيس، في مكان ليس به طعام ولا ماء، ومع ذلك تذعن لأمر الله وتثق بوعد الله ورحمته. فيأتيها الفرج.

فانظر إلى هذا القول الشافي الواثق، وإلى هذا الظن الحسن والثقة المتناهية بالله عز وجل، هي كانت تنتظر من إبراهيم عليه السلام ردا واضحا، فما إن قال لها: نعم، أي: الله هو الذي أمرني بهذا وأنا أترككم له حتى قالت بكامل الثقة: إذا لا يضيعنا، ما دمت قد تركتنا في عهدة من يعلم غيب السماوات والأرض ومن كلُّ دابة في الأرض رزقها عليه ومن هو أرحم بخلقه من الوالدة بولدها، إذا لا يضيعنا.

هذه هي قمة اليقين، وهذه هي ذروة التوكل يا عباد الله، أما كيف لن يضيعنا؟ أو بأي شيء سينقذنا؟ أو ماذا سيرسل لنا؟ هذا كله لا يهم، المهم أنه طالما كان الأمر من الله فإنه لن يضيعنا.

قال الله تعالى: وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ [الأنعام:١٧].

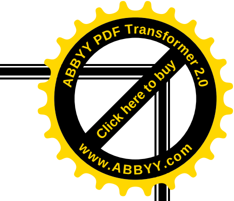
وانظر إلى هذا اليقين في حسن التوكل على الله رب العالمين . قال تعالى : "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)سورة الطلاق.وقال : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا

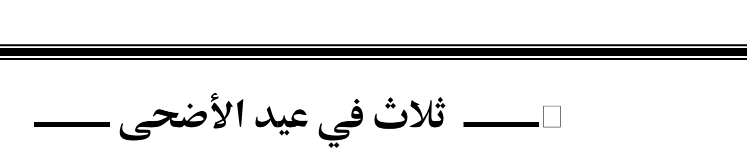



إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) سورة المائدة ، وقال: " ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)سورة الزمر.وقال سبحانه : " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (الأحزاب: من الآية٤٨)، وقال : ((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ)) (الفرقان: من الآية٥٨) .

عنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا. أخرجه أحمد ١/٣٠(٢٠٥) و"ابن ماجة"٤١٦٤ و"النَّسائي" في الكبرى٨/(١٠٥٨٦) الصحيحة (٣١٠).

ولقد ضرب أنبياء الله الكرام أروع الأمثلة في حسن اليقين والتوكل على الله تعالى ، فها هو نوح عليه السلام حينما مر عليه قومه وهو يصنع السفينة وسخروا منه ، جاء رده ، وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) سورة هود .

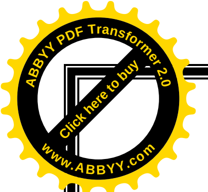
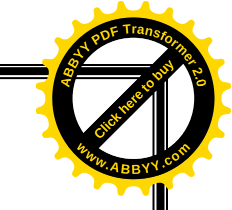




وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام ذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو ملقى في النار، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأما من الله حسبي من سؤالي علمه بحالي. تفسير القرطبي ٣٠٣/١١ ، تفسير ابن كثير ٣٥١/٥.

لذا جاء الرد الإلهي : " الله تعالى وهو أصدق القائلين: " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) سورة الأنبياء ، قال بعض العلماء: جعل الله فيها بردا يرفع حرها، وحرا يرفع بردها، فصارت سلاما عليه. قال أبو العالية: ولو لم يقل {بَرْداً وَسَلاماً} لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل {عَلَى إِبْرَاهِيمَ} لكان بردها باقيا على الأبد. تفسير القرطبي ٣٠٣/١١.

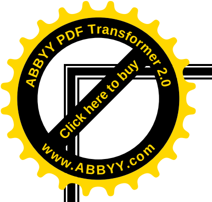
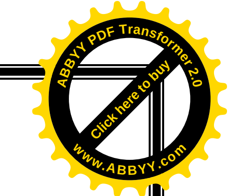
وها هو كيم الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، حينما طارده فرعون وجنوده ووصل البحر ، ظهر يقين موسى بربه وإيمانه بحسن التوكل عليه ، قال تعالى : " فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُـؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّـكَ لَهُـوَ الْعَزِيـزُ الـرَّحِيمُ (٦٨)سورة الشعراء.

وأما إمام المتوكلين وقائد الغر المحجلين محمد عليه الصلاة والسلام فسيرته ملأى بأعاجيب من توكله، وعظيم يقينه بالله تعـالى ، فقـد خرج مهاجراً مع أبي بكر رضي الله عنه ، فدخلا الغـار مختبئـين وحام المشركون حول باب الغار، ووقفوا على بابه تكاد قلوبهم تميز من الغيظ على محمد وصاحبه ، فخشي الصديق رضي الله عنه على رسول الله r أن يُمس بأذى فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فقال r : بكل هدوء و اطمئنان، وبلغة المتوكل علـى ربه، المعتمد علـى مـولاه : ((لا تحـزن إن الله معنـا)) رواه البخاري (٣٦١٥) ومسلم (٢٠٠٩) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

وفي حمراء الأسد ، جمع المشركون جموعهم ، و حشدوا حشودهم لقتال النبي r وأصحابه ، فخرج r و أصحابه بكل شجاعة و اقتدار ، و بكل عزيمة و إصدار ، لمواجهة الجموع المتربـصة ، و الجنـود المكتظة المزدحمة ، متوكلين على الله وحده ، طالبين المـدد منـه سبحانه : ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)) (آل عمران:١٧٣، ١٧٤ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : حسبنا الله و نعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد عليه السلام حين قال له الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .

ومع هذا اليقين وذلك التوكل إلا أن هاجر عليها السلام خرجت تسعى بحثاً عن الماء بين الصفا والمروة، وتكرّر السعي بينهما، لترفع مناراً للتوكّل الصحيح، وأنه التوكل الذي لا يُغْفِل الأسباب، بل الذي يبذل الأسباب كلّها، ولا يعجز ولا ييأس من تكرار الأخذ بها حتى ينجحَ، ويحقّقَ اللهُ تعالى له المطلوب.

قال أحدهم :

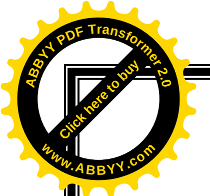
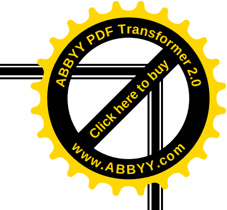
تَوَكَّلْ على الرَّحْمان في كُلّ حالَة * * ولا تَتْرُكِ الخَلاَّقَ في كَثْرة الطَّلَبْ
أَلَمْ تَر أَنَّ الله قال لِمَريَمٍ * * وهُزّى إليكِ الجِذْعَ تَسَّاقطِ الرُّطَبْ
ولو شاء أَنْ تَجْنِيه مِن غير هَزّها * * جَنتْهُ ولكن كُلُّ أمْرٍ له سَبَبْ

وأكمل آخر هذه الأبيات فقال :

أما علموا أن المقام سما بها * * * لأن جمعت بين التوكل والسبب
بأن لمست جذعا فأينع رأسه * * * على الحين أفنانا وأثمر بالرطب
كما مس أيوب اليبيس برجله * * * ففارت عيون طهرته من الصخب
ومس كليم الله بالعود صخرة * * * ففجر من أرجائها الماء فانسكب
ومس المسيح الطين بالخلق فانتشا * * * طيورا بإذن الله أحياء تضطرب
ومس يمين المصطفى الماء نطفة * * * ففاضت عيون الماء من خلل العصب

قال الإمام أحمد" :وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به"، وقال ابن رجب الحنبلي" :التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها".

قال الشاعر:

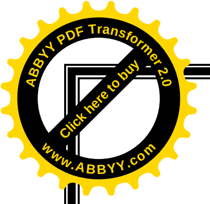
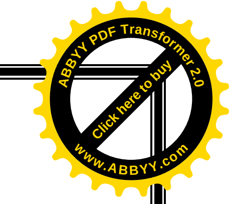



سهرت أعين ، ونامت عيون* * * في أمور تكون أو لا تكون
فادرأ الهم ما استطعت عن النفس * * * فحملانك الهموم جنون
إن رباً كفاك بالأمس ما كان * * * سيكفيك في غدٍ ما يكون

وقال آخر :

إلى الرحمن ترتفع الأيادي * * * وليس لغيره نفع العباد
وباب الرزق بالإيمان يطرق* * * إذا أيقنت فأبشر بازدياد
وثق بالرب رزاق البرايا* * * كما وثقت به الطير الغوادي
إذا خرجت من الأوكار جوعى* * * تعود بطونها ملأى بزاد

ورد في بعض الآثار أنَّ الله عز وجل أرسل ملك الموت ليقبض روح امرأة من الناس فلما أتاها ملك الموت ليقبض روحها وجدها وحيدة مع رضيعاً لها ترضعه وهما في صحراء قاحلة ليس حولهما أحد ، عندما رأى ملك الموت مشهدها ومعها رضيعها وليس حولهما أحد وهو قد أتى لقبض روحها ، هنا لم يتمالك نفسه فدمعت عيناه من ذلك المشهد رحمة بذلك الرضيع ، غير أنه مأمور للمضي لما أرسل له ، فقبض روح الأم ومضى ، كما أمره ربه: (لا يعصون الله ما أمرهم يفعلون ما يؤمرون) بعد هذا الموقف – لملك الموت – بسنوات طويلة أرسله الله ليقبض روح رجل من الناس فلما أتى ملك الموت إلى الرجل المأمور بقبض روحه وجده شيخاً طاعناً في السن متوكئاً على عصاه عند حداد ويطلب من الحداد أن يصنع له قاعدة من الحديد يضعها في أسفل العصي حتى لا تحته الأرض ويوصي الحداد بأن تكون قوية لتبقى عصاه سنين طويلة. عند ذلك لم يتمالك ملك الموت نفسه ضاحكاً ومتعجباً من شدة تمسك وحرص هذا الشيخ وطول أمله بالعيش بعد هذا العمر المديد ،ولم يعلم بأنه لم


يتبقى من عمره إلاَّ لحظات. فأوحى الله إلى ملـك المـوت قـائلاً : فبعزتي وجلالي إنَّ الذي أبكاك هو الذي أضحكك .

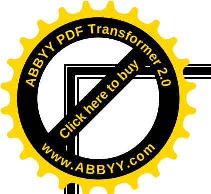
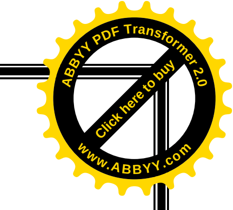
قال ابن القيم رحمه الله (كما في مدارج السالكين) : فـي القلـب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنـس بالله ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته ، وصدق معاملتـه ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه ، وفيـه نيـران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الـصبر على ذلك إلى وقت لقائه ، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا) .

قال الشاعر :

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ * * * أبشر بخيرٍ فإن الفارج الله
إذا بليت فثق بالله وارضَ به* * * إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرةً* * * لا تجزعنّ فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحدٍ * * * فحسبك الله في كلٍ لك الله

(٢) الرسالة الثانية

وجوب التسليم لأمر الله سبحانه

وذلك أن الله أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام قرباناً إلى الله، فبادر إلى ذبحه مسارعاً، واستسلم إسماعيل صابراً، فلما تمَّ مرادُ الله تعالى بابتلاء خليله إبراهيم عليه السلام، وتأكد عزمه، وشرع في ذبح ابنه، فلم يبق إلا اللحم والدم، فداه الله بذبح عظيم، فعَلِم الله عِلم وجود أن خلة إبراهيم ومحبته لربه لا يزاحمها محبة شيء، والأضحية والقرابين في منى تذكير بهذا العمل الجليل الذي كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى يقص علينا ذلك المشهد الرائع والمؤثر ، :" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)سورة الصافات .

وأمرت بذبْحك يا ولدي * * * فانظر في الأمر وا عقباه
ويُجيب العبد بلا فزع* * * : افعل ما تؤمر أبتاه
لن أعصي لإلَهي أمراً* * * من يعصي يوما مولاه
واستلّ الوالد سكّيناً* * * واستسلم ابن لرداه
ألقاه برفق لِجبين* * * كي لا تتلاقى عيناه
أرأيتم قلبا أبويا* * * يتلقى أمرا يأباه
أرأيتم ابنا يتلقى * * * أمرا بالذبح ويرضاه

روي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له : معاذ الكبير . أصابته مصيبة ، فجزع منها وأمر بإحضار النائحات وكسر الأواني .



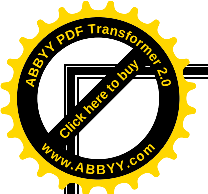
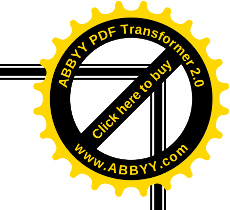
فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيته مع تلامذته ، وأمر تلميذاً له . فقال : إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى : { إن الإنسان لربـه لكنـود } فسأله فقال حاتم : ليس هذا موضع السؤال . فسأله ثانيا ، وثالثا . فقال : معناه أن الإنسان لكفور ، عداد للمصائب ، نساء للنعم ، مثل معاذ هذا ، إن الله تعالى متعه بالنعم خمسين سنة ، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عز وجل . فلما أصابته مصيبة جمع الناس يـشكو من الله تعالى ؟!!.فقال معاذ : بلى ، إن معاذاً لكنود عداد للمـصائب نساء للنعم فأمر بإخراج النائحات وندم عليه وتاب إلى الله تعـالى ورضى بقضائه ". مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ١٧٥.

قال الشاعر :

لا تدبر لـك أمـراً *** فأصحاب التدبير هلكى
سلـم الأمـر إلينـا *** نحن أولى بك منـكا

مر إبراهيم بن ادهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن فقال لـه إبراهيم : يا هذا إني أسالك عن ثلاثة فاجبني : فقال له الرجل نعـم فقال له إبراهيم : أيجري في هذا الكون شي لايريده الله ؟ فقـال لا قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟ قال لا قال : أينقص رزقك شي قدره الله قال لا قال إبراهيم فعلام الهم.

وفي الحديث القدسي:(أنا والجن و الإنس في نبـأ عظـيم، أخلـق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، أتحبب إليهم بالنعم ويبتعـدون عني بالمعاصي، خيري إليهم نـازل وشـرهم إلـي صـاعد) رواه البيهقي.

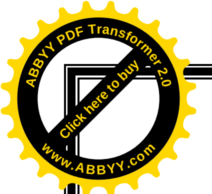
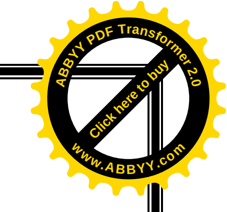
جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم يقول: إن نفسي تراودني المعصية ولا أستطيع كبح جماحها، فماذا أفعل؟ قال: إذا وفيت بخمس فاعص الله ما شئت، قال: وما هي؟ قال: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه، ولا تنم في أرضه، ولا تعصه أمام عينيه قال: وكيف يكون هذا؟ وكل ما في الأرض لله والأرض ملكه، والسماء سماؤه، وفي أي ركن أكون منها، فالله تعالى يعلم السر وأخفى! قال: أما تستحي أن تأكل من رزقه وتنام على أرضه وتعصه أمام عينيه؟ قال: إذا أردت أن تعصي الله وجاءك ملك الموت فلا تذهب معه أو جاءتك زبانية العذاب فلا تذهب معهم، قال: وكيف يكون هذا؟: إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قال: فإذا علمت قدر نفسك، لا تستطيع أن ترد ملك الموت، أو زبانية العذاب فلم تعصه؟ فكانت توبة بعد ذلك نصوحا.

سبحان من يعفو ونهفو دائماً * * * ولا يزال مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه* * * جلاله من العطا لذي الخطا

وقال آخر:

فيا نفس توبي قبل أن * * * لا تستطيعي أن تتوبي
واستغفري لذنوبك * * * الرحمن غفار الذنوب
إن المنايا كالرياح* * * عليك دائمة الهبوب

قال تعالى في الحديث القدسي : "أنا ملك الملوك ، ومالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإنِ العبادُ عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم

بالسخط والنقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، وادعــوا لهــم بالصلاح ، فإنّ صلاحهم بصلاحكم" .

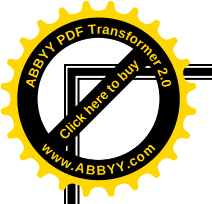
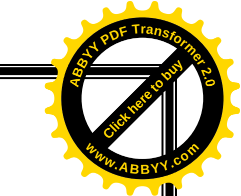
قال صفي الدين الحلي :

كن عن همومك معرضا * * * وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخير عاجل * * * تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط * * * لك في عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق * * * وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء * * * فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل * * * فقس على ما قد مضى

كان عروة بن الزبير صبورا حين أبتلي حكي أنه خرج إلى الوليـد بن يزيد فوطىء عظمــا فأصابته فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالــوا له أشرب مرقــدا فقال : ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال : لئن كنت ابتليت في عضو فقــد عوفيت في أعضاء فبينمـــا هــو كذلك إذ أتاه خبر ولده أنه طلع من سطح على دواب الوليد فــسقط فمات فقال: الحمــد للــه على كل حال لئن أخذت واحــدا لقــد أبقيت جماعــة (مختصر تاريخ دمشق ٥/٢٧٥).

وهذا هو نبي الله أيوب عليه السلام: قالت له امرأته: لو دعــوت الله أن يشفيك، قال: ويحك! كنا في النعماء ســبعين عامــاً فهلمــي نصبر على الضراء مثلها، فلم ينشب إلا يسيراً أن عوفي. الزمخشري : ربيع الأبرار ١/ ٤١٢.

أنشد الإمام علي رضي الله عنه :

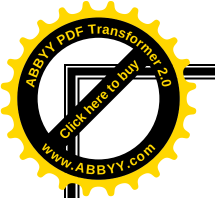
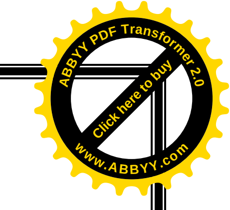
إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ * * * وضاقَ لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واستقرتْ * * * وأرستْ في أماكنِها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضُّرِّ وجهاً * * * ولا أغنى بحيلتهِ الأريبُ
أتاكَ على قُنوطٍ منك غوثٌ * * * يمنُّ به اللَّطيفُ الستجيبُ
وكُلُّ الحاثاتِ إذا تناهَتْ * * * فموصولٌ بها فَرَجٌ قريبُ

أغارت الروم على أربعمائة جاموس لبشير الطبري، فلقيه عبيده الذين كانوا يرعونها معهم، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس، قال: فاذهبوا أنتم معها، أنتم أحرار لوجه الله، وكانت قيمتهم ألف دينار، فقال له ابنه: قد أفقرنا! فقال: اسكت يا بني، إن الله اختبرني أن أزيده. الزمخشري: ربيع الأبرار ١/٤١٦.

إن المسلم الحق هو الذي يفوض الأمر إلى الله ويسلّم الأمر إليه ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) [الملك: ١٤].

فهو الذي يعلم ما يضرّك وما ينفعك، وما يسعدك وما يشقيك جل جلاله وتقدست أسماؤه، فهل تنازع الله في أمره أو تعترض عليه في قضائه وقدره؟!. وقال ﷺ" من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له " رواه الترمذي .

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:لا تُرْضِيَنَّ أَحَدًا بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ، وَلا تَذُمَّنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ

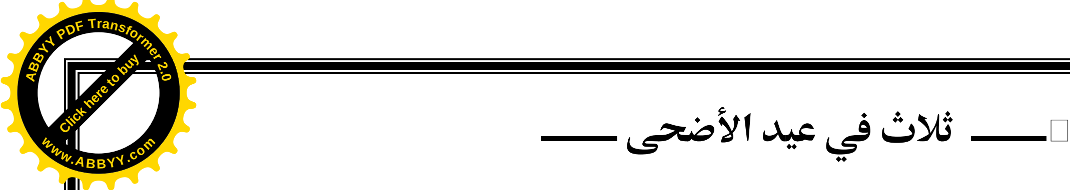



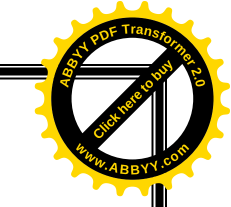
الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الـــسَّخَطِ.
الطبراني ٩\٦٦١.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً , وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً . رواة مسلم، وقال : مــن قال حين يسمع النداء ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمــد رسولاً غُفرت له ذنوبه . رواة مسلم.

يقول الإمام ابن القيّم الجوزيّة رحمه الله : هذان الحــديثان عليهمــا مدار مقامات الدين ، وإليهما ينتهي ، ولقد تضمنّا الرضا بربوبيتــه سبحانه وألوهيته ، والرضا برسوله والانقياد له ، والرضــا بدينــه والتسليم له ،فالرضا بألوهيته يتضمّن الرّضا بمحبته وحده ، وخوفه ورجاءَه ، والإنابة إليه ، وعبادته والإخلاص له والرّضا بربوبيتــه يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده ، والتوكل عليــه ، والاســتعانة بــه ، والاعتماد عليه ، وأن يكون راضياً بكل ما يفعــل الله بــه والرضــا برسوله يتضمّن كمال الانقياد له , والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقّى الهدى إلا منه ،أما الرّضا بدينه : فإذا قال ، أو حكم ، أو أمر ، أو نهى ، رضي كلّ الرّضا ، ولم يبقَ فــي قلبه حرج من حكمه ، ولو كان مخالفاً لهواه)) مدارج السالكين 173/2 .

جاء في الأثر أن موسى عليه السلام سأل ربّه : ما يُدني من رضاك ؟ قال : إن رضاي في رضاك بقضائي .





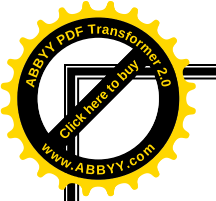
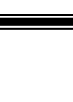
كما جاء في الأثر أن موسى عليه السلام قال : يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك ؟ قال الله عزّ وجلّ : إذا رايتني أهيىء له طاعتي , وأصرفه عن معصيتي ، فذلك آية رضاي عنه .

أوصى لقمان الحكيم ولده فقال : أوصيك بخصال تقرّبك من الله ، وتباعدك من سخطه أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت (مدارج السالكين :٢ / ٢٢٠ .

قيل ليحيى بن معاذ : متى يبلغ العبد مقام الرضا ؟ قال : إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يتعامل به ربّه فيقول : إن أعطيتني قبلت ، وإن منعتني رضيت ، وإن تركتني عبدت ، وإن دعوتني أجبت . مدارج السالكين : ٢ / ١٧٤.

قيل للحسين بن علي رضي الله عنه : إن أبا ذرّ رضي الله عنه يقول : الفقر أحبّ إلي من الغنى ، والسقم أحب إلي من الصحة . فقال : رحم الله أبا ذرّ ، أما أنا فأقول : من اتّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنّ غير ما اختار الله له .

لما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى مكّة وقد كُف بصره , جعل الناس يُهرعون إليه ليدعو الله لهم ، فجعل يدعو لهم ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام ، فتعرفت عليه ، فعرفني , فقلت له : يا عمّ ، أنت تدعو للناس فيشفون ، فلو دعوت لنفسك أن يردّ الله بصرك , فتبسم وقال : يا بُنيّ قضاء الله أحبّ إلي من بَصري مدارج السالكين : ٢ / ٢٢٧.

قال قال عبد الواحد بن زيد : « الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العابدين ».فهناك جنة في الدنيا تسمى جنة الرضا عن الله وبالله ، ومن لم يدخلها في الدنيا حرم منها في الآخرة .

قال الشافعي :

أمت مطامعي فأرحت نفسي* * * فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً * * * ففي إحيائه عرض مصون
إذا طمع يحل بقلب عبدٍ* * * علته مهانة وعلاه هون

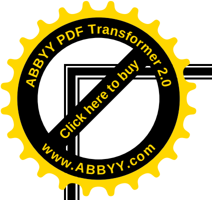
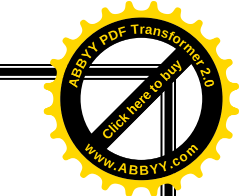
وقال آخر :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له* * * الأرض تَحمل صخرًا ثقالاً دحاها
فلما استوت شدّها جميعًا* * * وأرسى عليها الْجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت* * * له الْمزن تَحمل عذبًا زلالاً
إذا هي سيقت إلى بلدة * * * أطاعت فصبت عليها سجالاً
وأسلمت وجهي لمن أسلمت* * * له الريح تصرف حالاً فحالاً

(٣) الرسالة الثالثة

وأن هذه أمتكم أمة واحدة

إن الله سبحانه قد جعل أمة الإسلام أمة واحدة عبر الزمان والمكان، واللون والجنس والوطن، فقال :وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ(المؤمنون:٥٢)، فلابد أن نستشعر عظم أهمية هذه الوحدة وأثرها في سلوكياتنا وأخلاقنا ومعاملتنا، عسى الله أن يفرج عنا المحن والكربات، وأن يعيد للمسلمين عزهم ومجدهم، وأن ينصرهم على عدوهم فيما مضى كن إنّ هذه الأمة التي كانت وستبقى خير

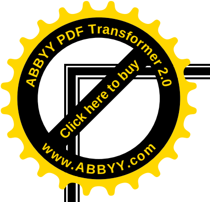



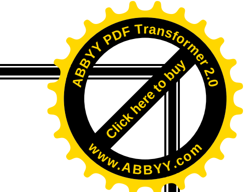
أمة أخرجت للنّاس ، أقامها الله تبارك وتعالى لتقود البشرية جمعاء إلى ما فيه خير الإنسان والإنسانية . ولا شك أنّ هذه المكانة عظيمة وهذا الواجب عظيم ، وعليه لا بد أن تكون هذه الأمة عظيمة لترقى إلى هذه المكانة وتؤدي هذا الواجب ، وإنّ من أعظم وأهم صفات هذه الأمة التي جعلت لها هذه المكانة ، أنّها أمة واحدة تنبثق من أصل واحد وتتجه نحو غاية وحيدة مشتركة مرتكزة على أسس ومبادئ وتشريعات وأخلاق كذلك واحدة، إذ ليست وحدة الأصل ولا أخوة الدين كافية لجمع النّاس على اختلاف أجناسهم وأشكالهم وأحوالهم ،بل لا بد من أن يجتمع النّاس على غاية واحدة يعيشون لها من مبدئهم إلى منتهاهم ، فتتكامل الوحدة أصلا وغاية.

والأمة الإسلامية تعرف غايتها حق المعرفة وقد حددها لها بارؤها حيث قال : إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أمة وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ الأنبياء:٩٢.

وقال : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) سورة آل عمران .

وقال : " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَنْ جَاءَ

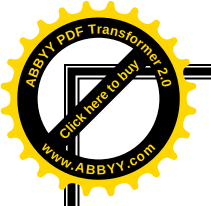
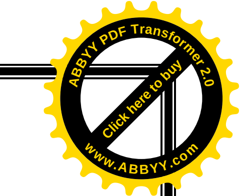




بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥) سورة الأنعام.

وقال : " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) سورة الروم.

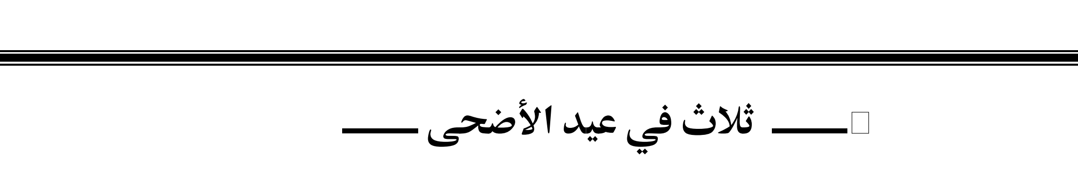
عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ؛قال :سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلاَ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، قَالُوا : يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلاَ لاَ يَجْنِي جَانٍ إِلاَّ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلاَ يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ ، وَلاَ مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ ، أَلاَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي

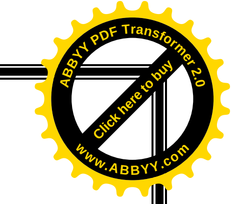



بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَيَرْضَى بِهَا ، أَلاَ وَكُلُّ دَمٍ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ مَا أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، أَلاَ وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ، أَلاَ يَا أُمَّتَاهُ ، هَلْ بَلَّغْتُ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. أخرجه أحمد ٤٢٦/٣(١٥٥٩٢) و"أبو داود"٣٣٣٤ و"ابن ماجة"١٨٥١ و"التِرمِذي"١١٦٣ و٣٠٨٧ و"النَسائي" في "الكبرى"٤٠٨٥ .

عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ:إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ. أخرجه عبد الرَزّاق أحمد" ١٥٨/٥ (٢١٧٣٨) و"البُخاري" ١٤/١(٣٠) ، وفي "الأدب المفرد" ١٨٩ و"مسلم" ٩٢/٥(٤٣٢٦) .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.





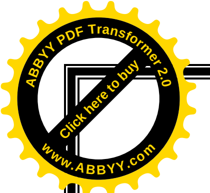
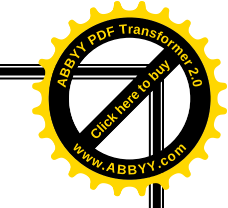
أخرجه الحُمَيْدِي و"أحمد" ٢٦٨/٤(١٨٥٤٥) و"البُخَارِي" ١١/٨(٦٠١١) و"مسلم"٢٠/٨(٦٦٧٨) .

عنْ أبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال:الْمُؤمِنُ لِلْمُؤمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أصَابِعِهِ.

أخرجه أحمد ٤٠٤/٤ وإلبخاري ١/ومسلم٢/٨، والترمذي .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا في غزاة فكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا لَلأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : دعوها فإنها منتنة) متفق عليه.

إن العصبية القلبية مقيتة بغيضة ، و هي سلاح فتّاك يفتك بالمجتمع ، لذلك فإننا نرى أن الأيدي الخفية تريد أن تزج مجتمعاتنا في لهيب هذه العصبية ، يريد البعض أن نعود إلى الجاهلية الأولى ، أن تعود الحرب القبلية العشائرية ، فنراهم يجمعون الناس تحت الروابط القبلية العشائرية ، ونراهم يضربون على وتر العشائرية عند أي خلاف ولو كان شخصياً و تافهاً ، لذلك فإننا نقول : إنها نغمة جديدة ، و خطر عظيم ، و فتنة كبيرة يحاول البعض إثارتها .

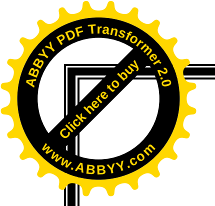
علينا أن نجعل الميزان هو الحق ، و أن نجعل الحكم هو الشرع ، و علينا أن ننصر إخوتنا لكن ليس بالميزان الجاهلي ، إنما بـــالميزان الشرعي الإسلامي .

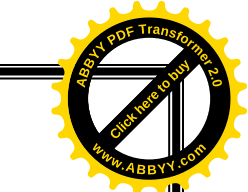
عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قـــال : تحجـــزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) رواه البخاري .

عنْ جُنْدُبٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ.

- وفي رواية :اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيـــهِ فَقُومُـــوا.أخرجه أحمد ٤/٣١٣(١٩٠٢١) و"الدارِمِي" ٣٣٥٩ و"البُخَارِي" ٦/٢٤٤(٥٠٦٠) ١٣٦(و"مسلم" ٨/٥٧.

وأما حديث " اختلاف أمتي رحمة " فقد قال عنه ابنُ حَجَـر : إنـــه حديثٌ مشهورٌ علـــى الألـــسنة ، وقـــد أورده ابـــنُ الحاجـــب فـــي "المُختصر" في مباحث القياس بلفظ ، "اختلاف أُمتي رحمةٌ للناس" ، وكَثُر السؤالُ عنه ، وزعم كثيرٌ من الأئمة أنه لا أصل لـــه. "كشف الخفاء" ١/٦٦.



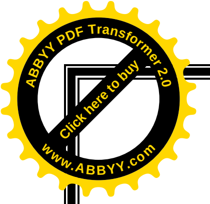
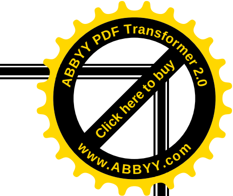


قال ابن حزم : وقد غلط قومٌ ، فقالوا : الاختلافُ رحمة ، واحتجـوا بما رُوي عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ؛ أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم.

قال ابن حزم : وهذا من أفسد قولٍ يكون ، لأنه لو كـان الاخـتلافُ رحمةً ، لكان الاتفاقُ سَخَطًا ، وهذا ما لا يقوله مسلمٌ ، لأنه ليس إلاَّ اتفاقٌ أو اختلافٌ ، وليس إلاَّ رحمةٌ ، أو سَـخَطٌ ، وأمَّـا الحـديث المذكور ، فباطلٌ ، مكذوبٌ من توليد أهـل الفسق. "الإحكام" ٥/٦١.

روى البخاري أن رجلاً حُدّ مراراً في شرب الخمر، فأتي به يومـاً، فأُمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي : ((لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسـوله)) .
أخرجه البخاري في الحدود (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عندما دخل عليه الحاجب وقال له: يا أمير المؤمنين هناك واحد بالباب يقـول: إنـه أخـوك، فيقول معاوية للحاجب: أي إخوتي هو؟ ألا تعـرف إخـوتي؟ فقـال الحاجب: إنه يقول: إنه أخوك. فلما دخل الرجل، سأله معاوية: أأنت أخي؟ قال: نعم فقال معاوية: وأي إخوتي أنت؟. فقال: أنا أخوك من آدم! فقال معاوية: رَحِمٌ مقطوعة، لأكونن أول من وصلها.

فهناك أخوة إنسانية تجمع جميع الناس ، وهناك أخوة إسلامية يجب أن تجمعنا وتوحدنا ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]

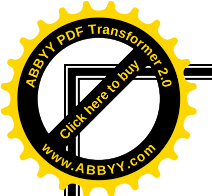
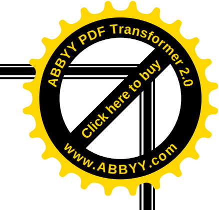
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»، وفي رواية: «فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار» رواه أبو داود والنسائي.

و احتقار المسلم فهو ناشئ عن الكبر وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقيل له: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم، وبطر الحق دفعه ورده على قائله وغمط الناس احتقارهم.

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: اجعل كبير المسلمين عندك أبا وصغيرهم ابنًا وأوسطهم أخًا.

وللأخوة حقوق وواجبات منها :

١- أن تحب له ما تحب لنفسك من الخير وأن تكره له ما تكره لنفسك من الشر.

٢- أن لا تؤذي أحدا من المسلمين بقول ولا فعل «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» متفق عليه.

٣- ألاَّ تنقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم وأن لا تذكر أحدًا بما يكره.

٤- ألاَّ تزيد في الهجر على ثلاثة أيام لغير سبب شرعي.

٥- أن تحسن إلى كل أحد بحسب القدرة والاستطاعة بكل أنواع الإحسان القولي والفعلي.

٦- ألاَّ تدخل على أحد إلا بإذنه.

٧- أن تخالق الناس بخلق حسن.

٨- الوفاء بحق الصحبة والإخلاص في المودة.

٩- أن ترحم الصغير وتوقر الكبير.

١٠- أن تكون مع كافة المسلمين مستبشرًا طلق الوجه لين الجانب.

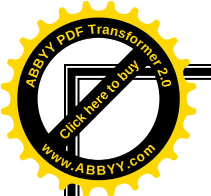
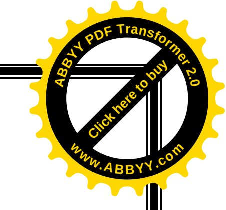
١١- أن تأمر أخاك المسلم بالمعروف وتنهاه عن المنكر.

١٢- أن تنصف الناس من نفسك فتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به.

١٣- أن تصلح بين الناس إذا تخاصموا وتقرب بينهم إذا تباعدوا.

١٤- أن تستر عورات المسلمين.

١٥- أن تشيع جنائزهم وتزور قبورهم.

١٦- أن تشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من لـك عنده منزلة وتسعى في قضاء حاجته.

١٧- أن تبدأ من تلقى بالسلام والمصافحة قبل الكلام.

١٨- أن تصوم عرض أخيك المسلم ونفسه وماله عن الظلم والعدوان مهما قدرت وترد عنه وتناضل دونه وتنصره فإن ذلك يجب عليك بمقتضى أخوة الإسلام.

١٩- ألاَّ تعد مسلمًا بوعد إلا وتفي به.

٢٠- أن تتواضع لكل مسلم ولا تستكبر عليه.

٢١- الدعاء لأخيك المسلم في حياته وبعد موته.

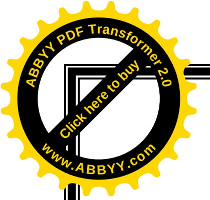
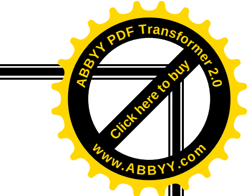
٢٢- أن تتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن بك وألسنتهم عن غيبتك.

٢٣- أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك.

٢٤- أن تشكر من أحسن إليك وتكافئه على إحسانه وتدعو له.

٢٥- إذا ابتليت بذي شر فينبغي أن تجامله وتتقيه وتداريه وتقابل إساءته بالإحسان إليه.

٢٦- أن تسلم على أخيك المسلم إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمة إذا أقسم عليك، وتنصحه إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وبالله التوفيق. انظر موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ١٤٨-١٥٤) ومختصر منهاج القاصدين (٩٥-١٠٦).

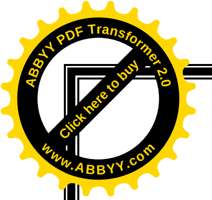
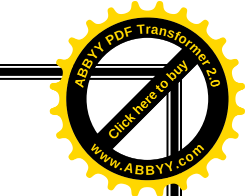
وما أجمل قول الشاعر:

فقلتُ: أخي، قالوا: أخٌ من قرابة * * * فقلت لهم: إن الشُّكُول أقاربُ

نسيبي في رأيي وعزمي وهمَّتي * * * وإن فرّقَتْنا في الأصولِ المناسِب

عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالَ:لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا فَجِئْتُ فِى النَّاسِ لأَنْظُرَ فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ. أخرجه أحمد ٥/٤٥١(٢٤١٩٢) و"الدارمي" ١٤٦٠ و٢٦٣٢ و"ابن ماجة" ١٣٣٤ و"التِّرمِذي" ٢٤٨٥ .

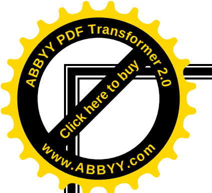
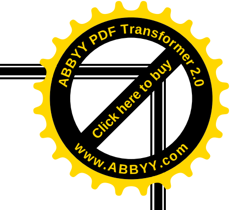
وتأمل تلك العاطفة الكامنة وراء خوف الصاحب على صاحبه وحرصه على راحته وإيثاره له فيما رواه مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته في الصحبة فلم يأذن لي في تلك السنة. ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال: اعزم على شرط: يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت: أنت الأمير. فقال: لا بل أنت، فقلت: أنت أسن وأولى. فقال: لا تعصني. فقلت: نعم ـ وما درى مصعب أن المروزي قبل الإدارة لخدمة أخيه لا لاستخدامه، وليعلِّم كل أمير قوم أن يكون خادمًا ومحبًا لهم وعطوفًا عليهم ورحيمًا بهم ـ قال مصعب: فخرجت معه، وكان إذا حضر الطعام

يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليــك أن لا تخــالفني! فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لما يُلحق نفسه من الضرر. فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير فقال لي: يا أبا أحمد اطلب الميل ثم قال لي: اقعد في أصله، فأقعدني في أصله وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا عليَّ، وعليه كساء قد تجلل به يظلنــي من المطر حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر. فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة رحمة الله عليه. من أخلاق السلف ص١١٢ نقلاً عن صفة الصفة (١٤٨/٤، ١٤٩).

أبا بكر لئن صرفتك عنا * * * تصاريفُ الحوادثِ والدُّهُورِ
فلم نرْحَلْ بأنفُسِنا ولكن * * * بمحضِ الشوقِ عن هَمَجِ الصدورِ
فقدتُ بفقْدِك الودَّ المصفَّى * * * وأخلاقًا تكشِفُ عن بُدور
أشَيعُه إلى سفر كأني * * * أشيع والديَّ إلى القبور
وما ودعتُه إلا ونفسي * * * تودعني بتَوْديع السرُورِ
ولا أتبعْتُه باللّحْظ إلا * * * رددت اللحظ عن طرفٍ حسير
وكان الشهْرُ قبْلَ اليومِ يومٌ * * * فصَارَ اليومُ بعدَكَ كالشُّهُورِ

والمحبة الإيمانية فهي محبة تجلب الطمأنينة والسكينة، وتدفع إلــى مزيد من الطاعة والتقرب إلى الله، وتزداد بطاعة المحبوب إلى ربه وتقل بتفريط المحبوب في حق ربه ، وإنه على الرغم مما للأخــوة من شأن، وما لها من حسنات، فإن الإسلام حرص على الاعتدال في كل شيء... والتطرف وضع شاذ كائنًا ما كان موضوعه ومنطوقه، وهو بالتالي سلوك غير طبيعي قد يؤدي إلى كثير من المــضاعفات والانحرافات.

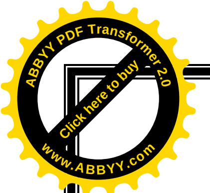
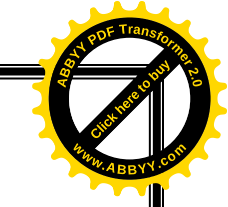



قال ﷺ ــ لما أتى برجل يشرب الخمر فلعنه رجل من القوم ــ: (لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله). رواه بهذا اللفظ البغوي في شرح السنة (١٠/٣٣٦، ٣٣٧)، ورواه البخاري (٦٧٨٠) بلفظ: "لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله"، الفتح (١٢/٧٩، ٨٠).

وعرف التاريخ من يشرب الخمر ثم يصر على الخروج للقتال في سبيل الله؛ لأنه يحب الله ورسوله،وكان ذلك في وقعة القادسية، حين أمر سعد بن أبي وقاص بأبي محجن الثقفي فقيد وأودع في القصر سجيناً بسبب شربه الخمر، فلما رأى أبو محجن الخيول تحوم حول حمى القصر وكان من الشجعان الأبطال قال:

كفَى حَزَناً أَنْ تَطْعَنَ الخَيْلُ بالقَنَا * * * وأُتْرَكَ مَشْدُداً عليَّ وَثَاقيا
إِذَا قُمْتُ عَنَّانِي الحَدِيدُ وغُلِّقَتْ * * * مَغَالِيقُ من دُونِي تُصِمُّ المُنَادِيَا
وقد كُنْتُ ذَا أَهْلٍ كَثِيرٍ وإِخْوَةٍ * * * فَقَدْ تَرَكُونِي واحداً لاَّ أَخَا لِيَا
هَلُمَّ سلاحي لا أَبَا لَكَ إنني * * * أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدادُ إلاَّ تَمَادِيَا
فللّه عهد لا أخِيس بعهده * * * لئن فرجت أن لا أزور الْحَوَانِيَا

ثم سأل أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيضع رجله في القيد فأطلقته، وركب فرس سعد ، وكان سعد مريضًا، وقد جلس في القصر ينظر في مصالح الجيش وخرج فقاتل قتالاً شديدًا وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبهه بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق، فقال: ما هذا! فذكروا له قصة أبي محجن فرضي عنه

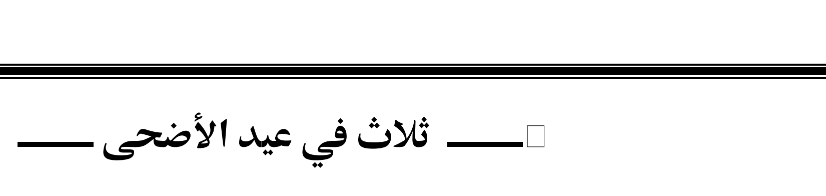



وأطلقه رضي الله عنهما (وقد ساق ابن كثير قصة أبي محجن بتمامها في البداية والنهاية ٥/١١٣).

قال يونس النحوي: لا تعادين أحدًا وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوك وترجو صديقك، ولا يعتذر أحد إليك إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب، وليقل عتب الناس على لسانك. المختار من الصداقة والصديق ص١٥٥.

أقلل عتابك فالزمان قليل * * * والدهر يعدل مرة ويميلُ
لم أبك من زمنٍ ذممت صروفه * * * إلا بكيتُ عليه حين يَزُول
والمنتَمون إلى الإخاء جماعة * * * إن حُصِّلُوا أفناهم التّحصِيلُ
ولعل أيامَ الحياة قصيرة * * * فعلام يكثر عتبُنا ويطولُ

وهذا ابن المبارك رحمه الله كان كثير الاختلاف إلى طرسوس وكان ينزل الرَّقَّة، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة فلم يره،... فلما سأل عنه قيل له: إنه محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم، ووزن له عشرة آلاف، وحلّفه ألا يخبر أحدًا ما عاش، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال ابن المبارك: يا فتى، أين كنت؟ لم أرك. قال: يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدين. قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل، فقضى ديني، ولم أدر. قال: فاحمد الله. ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله.



وجاءه رجل فسأله أن يقضي دينًا عليه، فكتب عبد الله له إلى وكيل له، فلما ورد الكتاب على الوكيل قال للرجل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبعمائة درهم، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضًا قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي.انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٣٨٦، ٣٨٧).

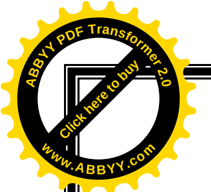
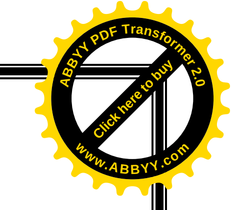
وقال آخر:

من اليوم تعارفنا * * ونطوي ما جرى منَّا
فلا كَانَ ولا صارَ * * ولا قلتُمْ ولا قُلْنَا
وإن كان ولابُدَّ * * من العتْبِ فبِالحُسْنى

ونعمة الإسلام نعمة عظيمة يجب أن نشكر الله عليها فهو الذي ألف بين قلوبنا وجمعنا على محبة الله تعالى وطاعته .

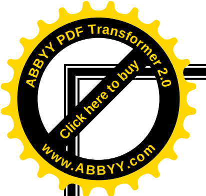
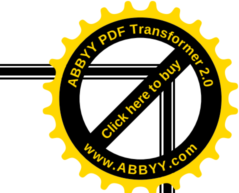
ذهب رجل صالح ليحج بيت الله فلما ذهب إلى هناك رفع يده يبتهل إلى الله قائلا الحمد لله على نعمه الإسلام وكفى بالإسلام نعمه وانقضى هذا العام وجاء العام التالي وكتب الله له الحج وبينما هو على عرفات أراد أن يبتهل إلى الله بدعاء وقبل أن يتلفظ بكلمه واحده سمع هاتف يقول الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة . فسمع صوتا يقول له : مهلا.. رويدا ..لم نفرغ من كتبه ثوابها من العام الماضي.

فهذه أيام رحمة وتسامح وفرح وسرور، أيام أكل وشرب، لا يجوز ويحرم صيام يوم العيد. ومن كان متخاصمًا مع قريبه أو صديقه أو

جاره فليسامح، وليتخلق بخلق الله، فإن الله غفور رحيم، ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠]، الرحم من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله،وكما تقربت إلى الله بالنسك والذبح والصلاة فتقرب إلى الله بصلة رحمك ومسامحة من أساء إليك، قال ﷺ: ((لا يحل لامرئ مؤمن أن يعرض عن أخيه فوق ثلاث، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))، رضاء الناس غاية لا تدرك، فتقربوا إلى الناس بالابتسامة والكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة، واتقوا النار ولو بشق تمرة، والهدية تؤلف بين القلوب، فتهادوا تحابوا، وألق السلام على من عرفت ومن لا تعرف، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

انظر إلى أحوال البائسين لترفع عنهم بأسهم، أنفق على المحتاجين، وساعد ذوي العاهات وكبار السن، ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)). زوروا الغرباء والمنقطعين عن أهليهم، وارفعوا عنهم حزن الغربة والحنين إلى الديار والوطن، وأدخلوا عليهم الفرحة ببعض الأطعمة والكلام الطيب، ولا تنسوا إخواننا في فلسطين وسائر بلاد المسلمين من صالح الدعاء، فإنهم ــ كان الله في عونهم ــ تمرّ عليهم الأعياد أعياد الفرحة بالحزن، واللقاء بالفراق، وبزيارة الأحياء الأموات.

كنت بالأعياد مسرورا * * *فساءك العيد في أغماتَ مأسورا
ترى بناتك فِي الأطمار جائعةً * * *يغزلن لناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعةً * * *أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية * * *كأنّها لَم تطأ مسكًا وكافورا
من بات بعدك فِي ملك يُسَر به * * *فإنما بات بالأحلام معرورا

فسر نهضتنا في وحدتنا ، ولنعلم أن أعداءنا لا يريدون وحدتنا ولا تآلفنا .

فلا تَحسبوا أنَّ الهمومَ مُقِيمةٌ * * *رُوَيدًا فإنّ اللهَ بالخلق أَبْصَرُ
ستؤخذ ثاراتٌ وتُقضَى حوائجٌ * * *وتبدو إشاراتٌ وتُقْصَمُ أَظْهُرُ
وتُطْمَس من شأن الأعادي بَوَارِزٌ * * *ويظهر سرّ الله والله أكبرُ

اللهم صل وسلم على من جعلته خاتم الأنبياء، وخير الأولياء وأبر الأصفياء، ومن تركنا على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا أهل الأهواء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.